الفصل الأول

# خلفية عامة عن الدراما

obeikandl.com

obeikandl.com

# المقدمة

نتناول فى هذا الفصل النظرة التاريخية لنشأة الدراما، كما نبين العلاقة بين الدراما والحياة، والعلاقة بين الدراما والدين، ونبحث فى هذا الفصل أيضًا دور الدراما فى التنمية، كما نتطرق إلى معنى الدراما والبناء الدرامى بما يحويه من بداية ووسط ونهاية، ونبحث الخلاف بين منظرى الدراما فيما يتعلق بقاعدة الفصول الثلاثة أو الأربعة أو الخمسة (كما عند فريتاج) كما نوضح فى هذا الفصل أشكال الدراما المختلفة، والفرق بين المسلسل والتمثيلية والسلسلة، وكيفية اختلاف الدراما باختلاف وسائل الاتصال التى تقدم بها.

***ما أجمل أن يستمع الإنسان إلى قصة مليئة بالعبر والعظات***
***وما أروع أن تكون هذه القصة مثيرة جذابة تخلب الألباب وتثير اللفتات.***
***كنا ونحن صغارًا لا نستطيع النوم إلا بعد الاستماع لقصص الأمهات أو الجدات.***
***وعندما كبرنا كنا نتسلى مع الأصدقاء بسرد القصص أو الاستماع إلى الحكايات.***
***وصار الاستماع إلى القصص والحكايات عادة يومية نقضى فيها ساعات وساعات.***
***وأمام الراديو والتلفزيون وفى السينما نتعرض للأفلام والتمثيليات.***
***وعندما نذهب إلى المسرح نستمتع بالحكايات وبالمسرحيات.***

## نشأة الدراما: نظرة تاريخية

وفى الحقيقة أن النفس البشرية تستمتع بقضاء الوقت مع قصة أو حكاية، ويعتقد البعض أن بداية معرفة الإنسان بالفن القصصى تبدأ من الإنسان البدائى عندما كان يعيش فى كهوف، وعندما يرجع فى آخر النهار من عمله الذى أنهكه بعد أن قنص واصطاد أو التقط الثمرات، كان يبدأ فى الراحة ويجلس مع زوجته

وأولاده ويحكى لهم ما تعرض له من مغامرات وأخطار فى صيد الوحوش أو جنى الطعام. وبغض النظر عن أنه كان يقول الحقيقة أو يبالغ أو يكذب فيما يرويه ليظهر لذويه مهارته وشجاعته، فإن المستمعين كانوا يجلسون فى سكون ووجوم وكأن على رؤوسهم الطير يستمعون ويتخيلون الأحداث وقد يحلمون بها فى المساء أثناء النوم.

كانت الحياة البدائية صعبة وكان على الإنسان البدائى أن يقاتل ليحصل على قوته وقوت أسرته، أما الجبناء الذين تنقصهم الشجاعة لمقاتلة الوحوش واصطياد الحيوانات الضارية فكانوا يكتفون بالجمع والالتقاط، وعندما يعودون إلى أسرهم كانوا يحكون القصص عما حدث لهم طيلة اليوم.

وإذا حدث قتال وصراع بين البشر على مناطق النفوذ التى تمتلئ بالأشجار المليئة بالثمار والفاكهة أو الحيوانات التى يمكن صيدها، كانت المعارك أعلى صوتًا، وبإمكانها أن تصدر الحكم للمنتصر، فلا مكان إلا للأقوياء وليذهب الضعفاء إلى الحجيم، وقد تضيع أسرته أو تنتقل إلى المنتصر.

حكايات وحكايات، وقصص تروى من جيل إلى جيل، وعندما ينتشر الجدب، ويقل عطاء الطبيعة، ويندثر الخير، تنتقل القبيلة من هذا المكان إلى مكان آخر، ويصير المكان الذى كان عامرًا أرض قفر ومسكن أشباح، ولكن تظل الذكرى وتروى الحكايات عنه، ويقارن الأفراد بين المكان الذى كانوا فيه والمكان الذى انتقلوا إليه.

***إن هذا صراع قاس مع الطبيعة.***
***وصراع قاس مع الأفراد الذين يخرجون على سلطة القبيلة.***
***وصراع أشد مع المعتدين الذين قد يغيرون على القبيلة.***
***وقد ينتهى هذا الصراع بخسران كل شئ أو الفوز بكل شئ وتنشأ القصص والحكايات والأساطير التى تستميل السامعين***

وبالصدفة يتعلم الإنسان كيف يشعل النار أو يستفيد منها، لا شك أن الإنسان

الأول المسكين قد خاف من النار، فلقد رأى صاعقة من السماء تحرق مكانًا ما فى الأرض، فخاف وجرى وهرع إلى أسرته يحكى لها عما وقع.

وقد يكون طفل صغير، يضرب بحجرين فى يديه وهو يلعب مع أصدقائه أو مع أخوته هو الذى رأى الشرارة التى انبعثت نتيجة ضرب الحجرين، وأمسكت الشرارة بورقة شجرة فاشتعلت، فكان اختراع النار حدثا هاماً، جلب تغيرت جذرية فى حياة المجتمع آنذاك، ولا شك أن آلاف القصص والحكايات قد رويت حول هذا الحدث الجذرى.

وتعلم الإنسان الأول كيف يستخدم النار ليخيف الحيوانات أثناء صيدها، أو يخيف أعدائه، أو يقلل الوقت الذى يقضيه فى الظلام فصار يتسامر مع أسرته على ضوء هذه النار بعد أن زاد وقت فراغه. ولكنه كان يأكل اللحم غير المطهى، فما أن وقعت قطعة لحم من يده فى النار أو دخل حيوان النار ومات فذاق طعمه إلا ووجد الإنسان الطعام لذيذًا فتعلم كيفية طهى الطعام وتسخين الماء البارد فى الشتاء للاستحمام وكانت ثورة أخرى ثم نشأت حكايات جديدة وانتقلت من الأجيال إلى الأجيال التى تليها.

ومع تطور الحياة البشرية تعلم الإنسان الاستقرار، وكف عن التنقل والترحال، واكتشف الزراعة، ففى المجتمع الرعوى كانت السلطة الدائمة للأم، إذ أن الأب قد يخرج فيقتل على يد الأعداء أو تقتله الوحوش، فصارت السلطة فى مجتمع الزراعة الجديد للأب، الذى صار عليه أن يقوم بالزراعة وأعمالها الشاقة وقد تساعده الزوجة أو الأطفال أو الجيران، إلا أن الصراع لا ينتهى فقد يبغى إنسان على جاره ويقتطع منه قطعة كبيرة من الأرض أو يأخذها كلها، ومن جديد تنشأ الصراعات والخلافات، ثم يأتى حكم القانون وسيادته وتتغير أشياء كثيرة وتتطور العلاقات البشرية ولكن تبقى حكاية القصص وروايتها أمرًا ثابتًا تتوراثه الأجيال.

تنمو الإقطاعيات ويزيد ثراء بعض الفئات، وتحلم الطبقات الغنية بمزيد من الثراء، وتحلم الطبقات الفقيرة من العبيد أو أقنان الأرض بالاستيلاء على أموال

النبلاء والإقطاعيين، وقد يحلم بعض الفقراء بالمعيشة فى قصورالأغنياء بشتى الطرق، سواء بجلب المال من أى مصدر أو بالزواج من أميرات هذه القصـور، وينشأ الأمل فى الحراك الاجتماعى وتحدث الثورات والانقلابات وتزداد القصص والحكايات التى تروى من جيل إلى جيل.

ومع تطور الحياة البشرية تحدث الثورة الصناعية، يزداد الأغنياء ثراء ويزداد الفقراء فقرًا، اللهم إلا من حاول الحصول على ثروة وانضم إلى معسكر الأغنياء وبرع فى صناعة معينة، ويقضى العمال طيلة النهار فى العمل فى المصانع ولا يعودون إلا مع غروب الشمس منهكين من العمل، ولكن هذا لا يثنيهم عن قص الحكايات وما وقع لهم فى العمل للأطفال والزوجات، وأحيانًا كان العامل يصطحب زوجته وأطفاله الصغار للعمل فى المناجم أو المصانع لزيادة الدخل والحصول على مال أكثر لعلهم يخرجون من فقرهم المدقع، وقد تموت الزوجات أو يموت الرجال أو أطفالهم أثناء العمل، وقد يعجب رئيس العمل أو أحد العمال بزوجة زميله، وقد يعجب صاحب المصنع أو المنجم بزوجة أحد العمال أو قد لا تنجب زوجة صاحب المصنع فيطمع فى أحد أبنائه.. ومن جديد تنشأ قصص وحكايات جديدة.

ومع اختراع السيارة التى قربت المسافات، يهرب الأبناء أو البنات من قسوة التقاليد داخل مجتمعهم، ويذهبون للمناطق الحضرية حيث يقابلون من يريدون ويعملون فيما يريدون، وقد يهرب بعضهم من الفقر ويذهبون للضواحى أو المدن القريبة وقد يعملون فى أعمال متدنية، وبهروب الأبناء والبنات يتغير شكل العلاقات الاجتماعية وتنشا آلاف القصص والحكايات.

وحتى فى المجتمعات الحديثة عندما نشبت الحروب الكبيرة روى الكثير عن الفظائع التى كانت ترتكبها بعض الجيوش كحرب نفسية لإرهاب الأعداء أو كحقائق وقعت بالفعل، كما رويت كثير من الحكايات عن الشجاعة والتضحية بالنفس ودور المرأة فى هذه الحروب. قصص عديدة وحكايات متنوعة.

**الدراما ووسائل الاتصال الحديثة**

والآن نجلس أمام وسائل الاتصال المختلفة ونتعرض لسيل جارف من القصص والتمثيليات والأفلام، فلقد حلت هذه الوسائل محل الخبرات. وتبين الدراسات أن المواد الدرامية من أكثر المواد التى تستميل جمهورًا هائلًا.

فالأفراد قد ينهمكون تمامًا فى المشاهدة وينسون الواقع الذى يعيشون فيه، ويتوحدون مع الأبطال ويعيشون آمالهم وآلامهم وأحلامهم، فالدراما التى يتعرضون لها قد تؤدى لهم وظائف نفسية واجتماعية متنوعة. شخص محروم من الحب قد يتعاطف مع البطل الذى يقع فى الحب ويتخيل أنه حقيقة فى هذه الحالة وقد يتعلم بعض السلوكيات التى قد تساعده فى حياته العاطفية.

شخص يعيش فى فقر مدقع قد يتوحد مع بطل فى مثل حالته ويذرف الدموع على ما يلاقيه البطل من أهوال ومآس. فتاة يعاملها الأهل بقسوة تتوحد مع امرأة قوية الشكيمة فى فيلم ما أو مسلسل ما. هارب من العدالة يتوحد مع الأبطال المجرمين فى الأفلام ويتمنى لو تغلبوا على رجال الشرطة وكثيرًا ما نتعرض لبعض المواقف ونتصرف طبقًا لما تعلمناه من الشخصيات فى المواد الدرامية التى شاهدناها أو استمتعنا بها.

***وكثيرًا ما نتعرض فى حياتنا لمواقف درامية***
***ونحن لا نبالغ إذا قلنا إن حياتنا كلها دراما***
***فمن منا لن يتعرض لصراع ويقابل شخصيات طيبة أو شريرة***
***ومن منا لم يحك قصصا أو يؤلف روايات***

المدرسون يروون القصص والحكايات لحث طلابهم على السلوك القويم والبعد عن السلوكيات السئية وكذلك الآباء والأمهات. وكلنا نستمتع بصحبة الأشخاص الذين يبرعون فى سرد الحكايات والقصص بشكل يجذب انتباهنا، وقد نعلم فى بعض الأحيان أنهم كاذبون.

وهنا يأتى دور الإيهام الدرامى.. فنحن نعلم أن ما نراه من مسلسلات أو

أفلام أو مسرحيات أو نسمعه من تمثيليات ليس إلا من خيال مـؤلـف وإخراج مخرج، ومع ذلك قد نطلق الضحكات الساخرة من بعض الشخصيات أو نذرف الدمعات على بعض المواقف المليئة بالحزن والأسى.

**الدراما والحيـاة**

ذكرنا أن المدرسين والآباء من أكثر الناس استخدامًا للقصص والحكايات نظرًا لطبيعة دورهم فى الحياة، ولكننا نود أن نذكر أن هناك بعض الأشخاص يستطيعون أن يقوموا بقص العديد من الحكايات أكثر من غيرهم كالمحامين والقضاة والباعة ومؤلفى التمثيليات والروايات. بل يمكن إذا عاش البعض فى الخيال لمدة دقائق أن يروى حكايات وقصصا لا حصر لها، فمال هذه الفتاة تتسكع فى الشوارع بهذه الطريقة، وهذا الشحاذ قد تبدو عليه إمارات الثراء ووجهه ممتلئ بحمره نتيجه ما أكله من لحوم، وهذا الشاب الذى يلتفت خلفه ترى ماذا فى الحقيبة التى يحملها، وهذا الصوت المرتفع الذى يجئ من الشرفة قد ينم عن عراك بين زوجين قد ينتهى بالطلاق أو سيطرة الزوجة على زوجها، وهذه الفتاة التى تسير مع خطيبها قد لا تحبه وإنما تتمنى الزواج من شاب أكثر ثراء، وهذا العامل البسيط قد يولد له ابن يكون أكبر ثراء من رئيس مجلس إدارة المؤسسة التى يعمل بها هذا العامل، وهذه السيارة الرابضة أمام البيت من وقت طويل قد تكون مسروقة ومن ثم إذا سرقها أحد فلن يبلغ عنها.... وهكذا.

***ألم نقل من قبل إن الحياة هى الدراما***
***بل ما قد يقع فى الحياة نفسها قد يكون أكثر درامية مما فى بعض القصص***
***ألم نسمع عن المرأة التى قتلت زوجها وابنها بصحبة عشيقها؟***
***أو الأب الذى قتل ابنته لشكه فى سلوكها؟***
***ألا نجد نماذج مثل المرأة المتسلطة على زوجها والزوج الخائن والابن العاق؟***
***ألا نجد القاضى المرتشى والضابط الخائن والعامل الامين؟***
***ألا نجد الغنى البخيل والفقير الكريم؟***
***ألا نجد المؤمن التقى والعاصى الفاجر فى معصيته؟***

إن الحياة دارما، والأحداث الثلاثة العظمة فى حياة الإنسان تشهد بهذا، الميلاد والزواج والموت، ففى لحظة الميلاد قد يموت الجنين وقد تموت الأم وحولهما العديد من الأفراد، فالزوج ينتظر وريثًا له أو ابنًا قد يحمله عند الكبر وكذلك الجد ينتظر أن يكون له أى حفيد، والعديد من الشامتين أو المهنئين ينتظرون لحظة الميلاد.

وفى الزواج تتضح الصورة أكثر، ترى هل يدوم الزواج أم ينتهى بالطلاق أو بموت أحد الزوجين، هل سيثمر هذا الزواج عن أبناء أم لا، أى الطرفين سيكون له الغلبة وتسيير شئون المنزل، هل سيتزوج الزوج ثانية، وما المشكلات التى قد تنجم عن هذا، وفى حفل الزفاف أيضًا يكون هناك الشامتين والمهنئين، وقد نلمح فى هذا الحفل أحد الأفراد يقدم التهنئة وقلبه يتقطع حزنًا، فلقد كان يود الزواج بهذه العروسة الجميلة الرائعة، وعندما تقع بعض مشاكل الزواج، يتمنى الزوج أن يبتلى الله أى ذكر آخر غيره بهذه الزوجه الليئمة وحماته العقربة، هل سيكون الأولاد صالحين أم سيجلبوا المشاكل. وتستمر هذه التساؤلات حتى لحظة الموت التى يحضرها الشامتون والمهنئون أيضًا وما قد ينجم عن هذه الوفاة من ميراث أو زواج امرأة المتوفى بشخص آخر وتفكر المحتضر فى الآخرة ونعميها وأهوالها

وفى هذا يحضرنى قول الشاعر:

**أتيت الحياة باكيًا والناس حولك يضحكـون سـرورًا**

**فاعمل ليوم يبكون فيه وتكون أنت ضاحكًا مسرورًا**

**الدراما والدين**

عندما عرضنا لنشأة الفن القصصى، عرضنا لهذه النشأة من الناحية التاريخية، منذ الإنسان الاول، ولذا قد يعتقد البعـض أن نشـأة الدراما تبدأ مع الإنسان البدائى الأول. ولكننا نرى غير هذا.

فعندما نعود إلى الكتب السماوية الثلاثة القرآن والإنجيل والتوارة، نجد الله سبحانه وتعالى يبين نشأة الكون، وفى التوارة سفر التكوين، وفى الانجيل العديد من الآيات التى تبين كيفية خلق الإنسان، ويوضح لنا القرآن الكريم فى آيات متعددة

مراحل خلق الإنسان من نطفه فعلقة فمضغة، وأن الله سبحانه وتعالى خلقه من طين وخلق الجان من نار. ثم بين الله عز وجل فى سورة البقرة أنه أبلغ الملائكة بأنه جل فى علاه سيخلق فى الأرض خليفة، فإذا بالملائكة ترى أنه سيكون سفاكًا للدماء وسيسعى لإفساد الأرض، ثم يأمر الله سبحانه وتعالى الملائكة بالسجود لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين، ويسكن آدم وزجته الجنة إلا أنهما لا يبقيان فيها طويلًا بسبب إغواء الشيطان لهما وأكلهما من الشجرة، ويتوب الله على آدم ويهبط الأرض. الآيات من (٣٠ – ٣٩) سورة البقرة

**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ (٣٠) وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِى بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيم (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُون (٣٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٣٤) وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِين (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاى فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩).**

وفى هذا نلمح الصراع الذى هو روح الدراما بين آدم وبين الشيطان الذى يحاول أن يغويه وزوجته عن طريق الهدى، بل إن الشيطان قد أقسم أن يغوى بنى آدم جميعًا حتى لا يكون أكثرهم من الشاكرين المؤمنين بالله، ولعظمة الله سبجانه وافق على أن يبقى الشيطان وينظره إلى يوم القيامة وجعل جهنم موعدا للشيطان وأتباعه. ويبين الله لنا هذا فى الأيات (٧٥ – ٨٥) من سورة ص

**قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَى أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ (٧٦) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِى إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِى إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٨٠) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٨٣) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٤) لأملأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٥)**

كما نرى فى هذه الآيات من سورة الأعراف من الآيه (١٣ – ١٨)

**قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣) قَالَ فَأَنظِرْنِى إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِى لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨)**

ويحذرنا الله دوما من وساوس الشيطان وطرقه ويذكر دوما بما فعله مع أبوينا آدم وحواء حين أخرجهما من الجنة كما فى الآيتين (٢٧، ٢٨) من سورة الأعراف

**يَا بَنِى آدمَ لا يَفتِننَكُم الشيطانُ كَمَا أَخرَجَ أَبَوَيكُم مِنَ الجنَّةِ يَنزِعُ عَنهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوءاتِهِمَا إِنَّه يَرَاكُم هُو وَقَبِيلُهُ مِن حَيثُ لاَ ترونَهُم إِنَّا جَعَلنَا الشَّياطِينَ أَولِيَاءَ للذينَ لاَ يُؤمِنُون (٢٧) وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَة قَالُوا وَجَدْنا عَلَيهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا قُل إِنَّ اللهَ لا يَأمُرُ بِالفَحَشَاءِ أَتَقُوُلُونَ عَلى اللهِ مَا لاَ تَعلَمُونَ (٢٨).**

كما تحفل آيات القرآن الكريم بقصص العديد من الأنبياء السابقين وتعد قصه نبى الله موسى من أكثر القصص ذكرًا وتكرارًا فى القرآن الكريم. ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى العديد من قصص الانبياء: صالح ولوط وهود ويونس. وبين عز وجل كيف أن السابقين كذبوا أنبيائهم ولم يطيعوا أوامر الله فحق عليهم العذاب، ومع ذلك كان الكفار والمشركين يزدادون فى غيهم وضلالهم.

وهدف القصص القرآنى إظهار العبرة ومواطن الاعتبار، حتى يتعظ الناس كما فى الآيه (١١١) من سورة يوسف

**لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِى الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١)**

ولأهمية القصص وتأثيرها فى النفوس أفرد القرآن العظيم كثيرا لقصص العديد من السابقين والتى يسميها الله أحسن القصص. ويكفى أن هناك فى القرآن الكريم قصة أصحاب الكهف وأصحاب الجنة وغيرها. وتحفل سورة كاملة فى القرآن الكريم بقصة يوسف عليه السلام اللهم إلا أول ثلاث آيات وآخر عشر آيات من سورة يوسف.

نجد كذلك قصة مريم ابنه عمران التى أحصنت فرجها، وقصة امرأة فرعون وقصة امرأة العزيز التى حاولت إغواء النبى يوسف ولكنه كان من الطاهرين، والقرآن الكريم يحث فى قصصه على العفة والانصياع لأوامر الله.

نقول هذا الكلام للذين يتشدقون بمقوله إن الله قد تحدث عن الجنس فى القرآن. نعم تحدث عنه ولكن بالإشارات والتلميحات العفيفة، والدعوة إلى التحلى بالفضيلة والعفة، وكيف أن الإنسان عليه أن يسمو بالنفس البشرية ويخلصها من رذائلها، ويسلك الطريق الصحيح لإشباع شهواته، ويتتبع طريق الله ليكون من أهل الجنة.

وبهذا لا يكون غرض القصص إفساد الشباب وإغوائه بمشاهد الجنس الصريح والعرى الفاحش ثم الإدعاء بأن هذا فن. فالفن يسمو ويرتفع بالنفس البشرية، لا يهوى بها فى براثن الفسوق والغواية، والفن ما حرك المشاعر والأحاسيس لا الغرائز والشهوات.

وكثيرًا ما تقدم الدراما قصص الأنبياء والصالحين. وهناك العديد من المسلسلات والأفلام التى توضح جهاد الأنبياء والصالحين فى أقوامهم ويكون تأثيرها فى النفس أكبر وأشد من عشرات الكتب مثل هذه المسلسلات تقوى الإيمان بالله ورسله وتدحض الكفر والنفاق.

ونجد أن رجال الدين من أكثر الناس استخدامًا للقصص الذى ورد فى القرآن الكريم أو فى سنة النبى محمد عليه الصلاة والسلام، وبهذا يجذبون الناس إلى الخير والحق.

وهناك العديد من المسلسلات والأفلام التى تدعو إلى قيم الحق والخيروالجمال وإثارة المشاعر الراقية النبيلة نرحب بها ونهيب بالكتاب والمؤلفين أن يزيدوا من إنتاجهم فى هذا المجال محاربة لتيار الفساد والإباحية القادم من الشرق والغرب عن طريق أفلام داعرة ومسلسلات رخيصة.

**الدراما والتنمية**

لا شك أن الدراما يمكنها أن تقوم بدور كبير فى إحداث التنمية الشاملة فى جميع المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية و.... إلخ.

يمكن للأعمال الدرامية فى مجتمعاتنا النامية أن تدعو إلى زيادة الإنتاج وترشيد الاستهلاك وحب العلم والمعرفة والتحلى بالقيم الإيجابية والبعد عن القيم السلبية، وإعلاء نماذج قدوة للشباب ولكافة أفراد المجتمع، كما يمكن لهذه الأعمال أن تزيد من الانتماء لهذا الوطن العظيم والتضحية من أجله بكل غال وبكافة الجهود المخلصة من أجل رفعته.

إن عشرات الكتب والخطب الرنانة قد لا تؤثر فى الجمهور مثلما يؤثر فيه فيلم راق أو مسلسل هادف.

وقد ينتقد البعض بعض خطط التنمية لأنها لا تربط المواطن بهذه الخطط، وكثيرًا ما تفشل الحملات الإعلامية أو الإعلانية لسوء التخطيط أو لسوء التنفيذ.

إن نجاح بعض الحملات الخاصة بالتوعية فى الراديو والتلفزيون قد يتوقف إلى حد كبير على استخدام الشكل الدرامى فى هذه الحملات، فإذا قدمت المعلومات جامدة وجادة إلى الجمهور قد ينصرف عنها، أما إذا تم استخدام الشكل الدرامى الجذاب، فلسوف ينتبه الجمهور لهذه الحملات ويحدث التأثير المطلوب، وقد يفسر

هذا نجاح بعض البرامج مثل برنامج سر الأرض الذى ينقل للمزارعين المعلومات الزراعية الخاصة بأرضهم فى شكل درامى جذاب.

وعندما تفقدنا بعض المواقع على الإنترنت وجدنا العديد من المواقع التى توضح كيفية كتابة الدراما فى الراديو من أجل التنمية الاجتماعية [١]

وهناك العديد من الدراسات التى توضح نماذج تطبيقية لاستخدام الدراما الإذاعية فى مجالات التنمية المختلفة كتوعية الآباء بأهمية التخطيط العائلى الصحيح وكذلك برامج تعليم الكبار [٢].

إن إثارة حماسة العمال فى المصانع والمزارع، وإثارة حماس الطلاب والعلماء والمبتكرين فى قاعات الدراسة والمعامل وإشعال المشاعر الوطنية وإلهابها لدفع المواطنين لمزيد من العمل يمكن أن تقوم به الأعمال الدرامية بكفاءة عالية إذا ما تم كتابتها بشكل جيد وإذا عرضت بشكل جيد.

إلا أن نقاد الدراما غالبًا ما يتحدثون عن نقدين فى مجال الدراما: **الأول**: عن تكريث الدراما فى مجتمعاتنا من أجل التسلية فقط، وفى هذا يمكننا القول بضرورة أن تكون التسلية هادفة من أجل المجتمع، **والثانى** يتعلق بعدم تصديق الناس للدراما المقدمة فى المجتمع وقد يعود هذا إلى التركيز على شرائح معينة فى المجتمع دون غيرها أو التركيز على قضايا غيرهامة، وفى هذا يمكننا أن نقول إن الناس إذا وجدت نفسها ومشاكلها فى الدراما المقدمة فلسوف ترتبط بهذه الدراما وتنتبه لها وتهتم بها بشكل كبير، فلا يعقل أن يكون التركيز على قضايا الحب والغرام وقضايا الطبقات الغنية فى المجتمع وإغفال ما عدا ذلك من طبقات أو قضايا.

إن تعليم الدراما وإفهام الطلاب بدورها الحيوى الخطير فى المجتمعات أمر لا

---

(١) ارجع مثلًا لهذا الموقع الذى تم الدخول إليه يوم ١٣ / ٩/ ٢٠٠٩

http:www.jhuccp.org/pubs/fg/3/ch3.shtml.

(٢) حسن عماد مكاوى. ***إنتاج البرامج للراديو: النظرية والتطبيق*** (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٩) ص ص ٣٤٨ - ٣٤٩ .

غنى عنه، ولن يفسد المتعة التى يجنوها من التعرض للدراما، بل سيعلمهم الفارق بين المواد الدرامية الثمينة والمواد الغثة، وقد يصبح هؤلاء الطلاب هم كتاب الدراما فى المستقبل، وقد يكون تعليم الدراما أساسًا لما نادينا به وسنظل ننادى به من ضرورة نشر مفاهيم التربية الإعلامية وتعليم مهارات التفكير النقدى والتحليلى وإظهار الجوانب الإيجابية والسلبية فيما يتم التعرض له.

**معنى الدراما**

تعد كلمة دراما من الكلمات المنتشرة بشكل كبير على ألسنة الناس، فإذا وجد موقف ينقلب إلى حزن يقولون " لقد انقلب الحال إلى دراما "، وإذا حدثت فاجعة لأحد الأشخاص وأدت لوفاته يقولون " انتهت حياته بشكل درامى " وقد يعنى هذا أنه عندما ترتب بعض الأحداث أو المواقف بطريقة معينة ويحدث شئ غير عادى وتتورط بعض الشخصيات فى مواقف معينة ينتج عنها صراع، يعتقد الكثيرون أن هذا دراما. والواقع أن الصواب لم يجانبهم كثيرًا. ونلحظ أن هناك تشابهًا كبيرًا بين القصة والدراما بهذا المفهوم.

إن الكلمة الانجليزية Drama مشتقة من الكلمة اللاتينية dran والتى تعنى باللغة العربية أن يفعل، وبهذا فالدراما قصة تؤدى أو تُعمل وتقدم للجمهور، ويقوم بعرض هذه القصة مجموعة من الممثلين تعاونهم بعض الوسائل الفنية من ديكور وإضاءة وصوت أو مؤثرات صوتية، ويمكن تقديم هذه القصة على المسرح أو فى الردايو أو فى السينما أو فى التلفزيون. الدراما إذن كالقصة تسرد سلسلة من الأحداث وتصف شبكة من العلاقات التى يتورط فيها مجموعة من الأشخاص، وينشأ بين هؤلاء الأشخاص صراع يجذب الانتباه ويؤدى إلى مزيد من التوتر والتشويق. وبهذا يمكن القول بأن مكونات الدراما فى كل دراما وفى كل قصة تشمل: الشخصيات والحبكة والفكرة والمكان والزمان، أما البناء الدرامى فيجب أن يشتمل على مقدمة وهدفها أن تكون فى أذهاننا فكرة عن العمل الدرامى الذى نتعرض له، ثم يحدث تطور لهذه المقدمة إلى أن نصل إلى الصراع، يتطور هذا الصراع

إلى أن يصل إلى ذروة، ثم يحدث حل لهذا الصراع أو هذه العقدة أو ما يمكن أن نطلق عليه الخاتمة كما يوضح هذا الشكل [١].

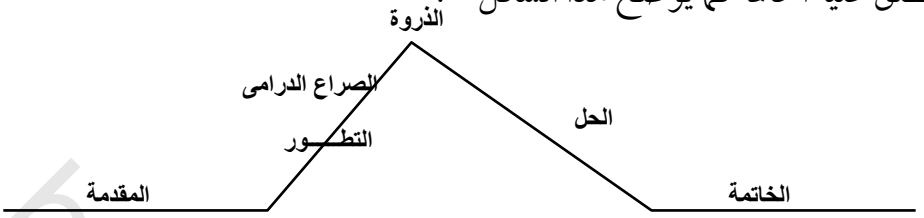


ولقد استعملت كلمة دراما للدلالة على الأعمال الأدبية التى يمكن أن تمثل على المسرح أو تقدم فى الراديو أو التلفزيون أو السينما، ومهما يكن من أمر فإن الدراما تلتمس موضوعاتها من الحياة بكل جوانبها، فالدراما ترتبط بالحياة الإنسانية وبالإنسان ومشاكله فى هذه الحياة سواء كانت اقتصادية أو سياسية أو دينية او اجتماعية.... إلخ، والدراما تحاول أن تجد تفسيرًا لهذه الحياة التى ما زالت أسـرارها غامضة، ويقول أرسطو فى تحليله للدراما: " إن الدراما محاكاة، والمحاكاة باعتبارها غريزة فى الإنسان منذ طفولته، تميزه عن الحيوان كما يتلقى بها المعارف " والآن صارت النظرة الجديدة أن الدراما تمتد إلى أعماق الحياة لا لتحاكيها كما يقول أرسطو وإنما للقيام بتحليلها وتفسيرها، ولقد عرفت الدراما فى مصر القديمة فى الاحتفالات الدينية التى كانت تتضمن عروضًا للموسيقى والغناء والرقص، كما عرفت عند اليونانيين القدماء [٢].

وإذا قلنا إن الدراما قصة، فهنـاك من يرفـض هـذا، ويـرى أن القصـة ليسـت هى الدراما، فالقصة سلسلة من الأحداث المشوقة، تبنى بعناية ودقة، وتثير اهتماماتنا وانفعالاتنا وتفكيرنا، أما الدراما فتجعلنا نعايش الأحداث والأفكار والشخصيات، وتجعلنا نرى الشخصيات وهى تفكر وتتكلم وتتصرف [٣]،

---

(١) يمكن الرجوع إلى هذا الموقع الذى تم الدخول إليه يوم ١٣ / ٩ / ٢٠٠٩.
**http://www.jhuccp.org/pubs/fg/3/ch3.shtml**

(٢) محمود فهمى. ***الفن الإذاعى والتلفزيونى*** (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٨٢) ص ص ٣٨ – ٣٩.

(٣) حسن عماد مكاوى. ***إنتاج البرامج للراديو: النظرية والتطبيق*** (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٩) ص ٤١٧.

باختصار يرى أصحاب هذا الرأى أن القصة تحكى بواسطة السرد على لسان شخص، أما الدراما فتؤدى، ومع احترامنا لهذا الرأى فإن الفروق بين القصة والدراما ضئيلة جدًا، فالاثنان يعتمدان على أسلوب رواية القصة Story telling، وندلل على هذا أنه قد يحدث فى بعض الأعمال الدرامية أن يحكى شخص أو يسرد قصة لشخصية أخرى فى نفس إطار العمل الدرامى.

**البناء الدرامى**

ويمكننا أن نؤيد وجهة نظرنا بالتأكيد على أن بناء القصة هو نفسه البناء الدرامى Dramatic Structure، هذا البناء شائع فى معظم الأفلام والقصص والتمثيليات، حيث نجد فى إطار هذا البناء شخصية رئيسية أو بعض الشخصيات الرئيسية تحاول بشكل جدى أن تحصل على شئ ما، ومن خلال القصة نجد هذه الشخصية أو هذه الشخصيات تتغلب على كل العقبات وفى النهاية وبعد صراع تنجح فى هذا. إذن فالبناء الدرامى يشمل ما يذكره أرسطو من بداية ووسط ونهاية. **فالبداية** تتضمن الخلفية والموقع وتوضح الشخصيات وعادة ما نسميها التمهيد أو الشرح exposition والأهم فى بداية القصة أو المسرحية أو الفيلم أو التمثيلية أو أى شكل سردى Narrative Form أن نعرف الجمهور بالجو الدرامى الموجود فى العمل، فمثلًا يعرف الجمهور أن سندريلا تعيش كالخادمة فى بيت أبيها بعد أن تزوج من امرأة أخرى غير أمها بعد أن ماتت، كما يعرف كيفية معيشتها مع بنات هذه المرأة ولون الحوائط وبعض المعلومات عن حالتها النفسية، أما **الوسط** فيعد لحم القصة ويبدأ بنقطة الهجوم Point of attack عندما يحدث تغير ويطرق على الباب رسول الأمير ويُحضر دعوة للحفل الذى سيعمله من أجل أن يختار زوجة، وهنا يحدث التشويق، ونأمل فى أن تتزوج سندريلا من الأمير حتى تنتهى معاناتها، ولكن بنات زوجة الأب سيذهبن ولديهن ثياب جميلة، ومن ثم نشفق على سندريلا التى لا تستطيع أن تذهب، وتتطور الأحداث ونشعر أن هناك فرصة حتى تحضر سندريلا الحفل وهذا ما نسميه الذروة Climax أى أقصى تعقد للأحداث، فإما أن تنجح سندريلا فى أن تصبح أميرة بعد الزواج وإما أن تظل خادمة للأسرة وهذا يؤدى إلى التشويق، أما **النهاية** فيتضح من خلالها ما ستقوم به البطلة وكيف ستتغير سندريلا

وتصبح أميرة وتعيش فى سلام مع الأمير، وهذا ما نعنى به الحدث الهابط Falling action بعد الصراع الذى خاضته، وبعد أن حبسنا أنفاسنا بعد أن ضاع الحذاء الذى كانت ترتديه وكيف أن قدم سندريلا ناسب الحذاء [١].

**الفرق بين المسلسل والتمثيلية والسلسلة**

ما ذكرناه عن البناء الدرامى يختلف إلى حد كبير مع ما يطلق عليه بناء سلسة الأحداث episodic structure، ونطلق عليه هذا الاسم لأن كلمة episode تعنى حلقة فى مسلسل متصل مثل مسلسل هرقل Hercules والذى يعرض لشخصية قوية ويواجه صعوبات كبيرة فى كل حلقة ولكنه يتغلب عليها بنهاية الحلقة. فالحدث يرتفع من بداية الحلقة ويزداد التشويق، وهذا النوع من البناء يعرض للجمهور سلسلة من الحلقات التى تعرض فى كل حلقة لأحداث مختلفة ولكن يظل هرقل هو البطل إلا أن كل الشخصيات التى يواجهها تختلف فى كل حلقة، ولا يوجد حدث هام أساسى مؤثر يدفع الأحداث ويحرك الحبكة للأمام، لأن كل حلقة فى هذه السلسلة توضح لقوة هرقل وتغلبه على الصعوبات التى تواجهه فى كل حلقة [٢]، ويمكن أن نضرب مثالًا آخر لهذا النمط بمسلسل سيد الوحوش Beast master والذى كان البطل فيه يواجع صعوبات ومشاكل باستمرار فى كل حلقة، إلا أن هذه الصعوبات تنتهى دوما بانتصاره عليها.

هذه التفرقة بين البناء الدرامى، وبناء سلسلة الأحداث تدفعنا إلى التفرقة بين التمثيلية أو المسلسل الدرامى Drama Serial والسلسلة الدرامية Drama series، فالتمثيلية قد تقدم فى مرة واحدة كتمثيلية سهـرة، أما المسلسل فيقدم فى شكل ثلاثية او خماسية أو سباعية أو ١٥ أو ثلاثين حلقة أو ما يزيد على هذا، وفى الغالب تكون التمثيلية أو المسلسل معدة عن رواية لأديب بارز مثل رائعة تشارلز ديكنز " دافيد كوبرفيلد " ويتم عرضها، ويحتاج الكاتب أن يكتب أول حلقة ثم يحدد

---

(١) يمكن الرجوع إلى هذا الموقع الذى تم الدخول إليه يوم ١٠ / ٩ / ٢٠١٠.
**http://www.billharly.com/documents/soapsoap.pdf**

(٢) *المرجع السابق.*

الخطوط الأساسية للمشاهد والمعالجة ويواصل بقية الحلقات، أما السلسلة الدرامية فتقسم إلى حلقات، وبنهاية كل حلقة، تبدأ حلقة جديدة وتعرض لمواقف وشخصيات جديدة قد تكون مختلفة تمامًا عن الأحداث والشخصيات فى الحلقات السابقة أو التالية، وهنا يحتاج الكاتب إلى أن يكتب خطته الاستطلاعية أو الاولية فقط عن شخصية ما تواجه مشاكل مختلفة فى كل حلقة [1].

ويمكننا أن نذكر نموذجًا للمسلسل بالمسلسل التلفزيونى الشهير إمام الدعاة عن حياة الشيخ الشعراوى، وسلسلة حكايات زوج معاصر التى تعرض لمشاكل يتعرض لها أحد الشباب، وفى كل حلقة مشكلة جديدة وشخصيات جديدة.

ويوضح عدلى رضا الفرق بين التمثيلية والمسلسل **فى الراديو**، حيث يرى أن التمثيلية عمل فنى متكامل مستمر من الأحداث وتدور حول فكرة واضحة المعالم وتتقيد مثل غيرها من الأشكال الدرامية بأن لها بداية ووسط ونهاية، وتقوم على مجموعة من الأحداث التى تصل بها إلى الذروة ثم حل المشكلة التى تتناولها، ويقوم بتصويرها إذاعيًا مجموعة من الممثلين وتمتاز بأنها تقدم مرة واحدة خلال فترة زمنية تتراوح بين نصف الساعة والساعة، أما المسلسل الشهرى الإذاعى فعمل درامى متكامل يقدم فى ثلاثين حلقة، ويدور حول فكرة محددة وتتسع حلقاته لتطور درامى يتقدم مع كل حلقة من حلقات المسلسل، ولابد أن يتوفر فى المسلسل مجموعة من المواقف التى تربط المستمع بالمسلسل، ويقدم المسلسل بواقع خمس عشرة دقيقة لكل حلقه من حلقاته التى تذاع يوميًا، ويتسع مجال المسلسل لعدد من الشخصيات يزيد عما فى التمثيلية او الخماسية او السباعية، وهذا يساعد على تعميق أبعاد الشخصيات والأحداث التى يتناولها المسلسل. وعلى وجه العموم يمكن القول بأن المسلسل لا يختلف عن التمثيلية إلا بوجود بعض القمم الدرامية او العقد التى تنتهى بها كل حلقة ليظل المشاهد متعلقًا بذهنه ووجدانه. **أما فى التلفزيون**

(1) Robin Kelly , Introducation to writing Tv Drama [online] available at:
http: **www.robinkelly.btinternet.co.UK/drama1.htm** تم الدخول إلى هذا الموقع يـوم ١ / ٦ / ٢٠١٠

فالتمثيلية التلفزيونية وحدة فنية كاملة يتوافر فيها البناء العضوى للدراما وهى شكل من أشكال الدراما التلفزيونية، وتدور حول فكرة واضحة المعالم سليمة التكوين ومنطقية فى نفس الوقت، ولابد ان يفهمها المشاهد على النحو الذى قصده المؤلف والتمثيلية فى معناها البسيط قصة مروية بواسطة مجموعة من الشخصيات شبيهة بشخصيات الحياة ويجرى بينها حوار له سمات الحقيقة **ويمكن أن نلخص التمثيلية التلفزيونية فى المعادلة الآتية:**

**التمثيلية التلفزيونية = قصة محكمة + شخصيات مدروسة وذات أبعاد إنسانية + حوار جيد + معالجة تقوم على الحضور الدائم للشخصيات + ضوابط التلفزيون.**

وتقدم التمثيلية دفعة واحدة طولها فى الغالب بين نصف الساعة والساعة والنصف، أما وقت الحلقة فى المسلسل فيتراوح ما بين ٣٠ - ٥٠ دقيقة [١].

**الدراما فى وسائل الاتصال المختلفة**

إذا كان المسرح الأب الحقيقى للفنون، فإن هذا المسرح كان البداية الحقيقية للدراما، حيث تقوم الشخصيات المسرحية بتجسيد وعمل الأحداث والصراع مع الاستعانة بالديكور والإضاءة وعوامل الإبهار المسرحية الأخرى.

ولقد عرف المسرح منذ اليونانيين والمصريين القدماء،وكانت الجماهير تلتف حوله.

ومع انتشار الراديو فى العشرينيات من القرن الماضى حققت الدراما الإذاعية فى الراديو شهرة كبيرة وآفاقًا اوسع، وتعلقت الجماهير بهذه الدراما فى الراديو بشكل كبير، ففى عام ١٩٣٨ قدم أورسون ويلز Orson Welles عرضا دراميًا لرواية عن غزو من المريخ invasion from Mars واستخدم شكل النشرة الإخبارية عن أن هناك سفينة فضاء هبطت فى نيوجيرسى وأن هناك مخلوقات غريبة هبطت منها

(١) عدلى سيد رضا. ترشيد الدراما الإذاعية فى مصر كأداة للتنمية الحضارية: دراسة تحليلية لعينة من المسلسلات الإذاعية. ***رسالة دكتوراه***. غير منشورة (القاهرة: كلية الإعلام. جامعة القاهرة، ١٩٨٣) ص ص ٩٣ - ٩٦.

وبدأت تهاجم أهل الأرض ولقد سبب هذا المسلسل فزعًا هائلًا بين المواطنين وخصوصًا فى نيوجيرسى [١].

وعلى الرغم من أن العرض استمر ساعة، إلا أن هناك حالة من الفزع والرعب انتشرت بين المستمعين وخرجوا إلى الشوارع من الخوف والفزع.

ولقد حدثت مثل هذه الحالة فى مصر عندما أذيعت بعض المسلسلات فى الراديو فى الستينيات، وإن دل هذا فإنما يدل على قوة الراديو بشكل عام وقوة الدراما الإذاعية التى تثير الخيال وتجذب المستمعين، ولقد حكى لنا أساتذتنا كيف أن الشوارع تكون شبة خالية عندما كان يذاع المسلسل فى الراديو فى الساعة الخامسة والربع حيث ينتظره المستمعون.

وقبل انتشار الراديو، حققت الدراما نجاحًا كبيرًا فى مجال الأفلام السينمائية وارتبط الجمهور بالسينما ارتباطًا كبيرًا، وفى بداية الإنتاج السينمائى ساد الظن بأن الفيلم ليس إلا مسرحية مصورة، غير أن هذا الظن ما لبث أن اتضح عدم صحته للأسباب الآتية [٢]:

١- الصورة أساس الفيلم أما الحوار فأساس المسرحية.
٢- تكشف المسرحية عن شخصياتها عن طريق الحوار أما الفيلم فيصور الأفكار والشخصيات عن طريق الحركة، وقد زاد إدخال الصوت من هذه الإمكانية.
٣- المسرحية تعتمد على حركة الممثل وأدائه الصوتى أما الفيلم يعتمد على تعبيرات الوجه ونوع اللقطة وحجمها.
٤- وقت المسرحية غالبًا ما يكون ثلاث ساعات بينما لا تتجاوز مدة عرض الفيلم مائة دقيقة.

---

(1) Stanley J.Baran , Dennis K.Davis , ***Mass Communication Theory: Foundations , Ferment , And Future*** , 3rd ed., (Belmont: Wadsworth , 2003) p.78.

(٢) يوسف الشارونى. ***دراسات أدبية مع الدراما*** (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩) ص ص ٣٢ - ٣٣.

٥- يقوم العمل المسرحى على أساس وجود وحدة مميزة، فالكاتب المسرحى يضغط الأحداث فى بضعة مشاهد قليلة، وعند تحويل هذه المسرحية إلى فيلم يجب التنازل عن هذه الوحدة وتحويلها إلى قصة ملحمية تعرض الأحداث فى مجال زمنى أوسع.

٦- تتكون المسرحية من وحدات زمنية منفصلة (الفصول) أما الفيلم فيتكون من وحدات متتالية (لقطات) ولا نجد فى الفيلم الانقطاع المفاجئ الذى نجده فى المسرحية بين فصل وآخر.

٧- يرفض المذهب الكلاسيكى فى المسرح عرض مشاهد العنف المثيرة أما طبيعة السينما فتقوم على الابهار بل وتعرض مشاهد العنف والجنس لإثارة المشاهدين وجذبهم إلى دور السينما.

وفى الخمسينيات والستينيات عندما تطور التلفزيون وانتشر، ذاع صيت المسلسلات والتمثيليات التلفزيونية ولا يمكننا أن نغفل أثر المسلسلات التلفزيونية الأمريكية فى هذا الصدد مثل دالاس والجرئ والجميلات وغيرها من المسلسلات التى انتشرت فى العالم كله، ولقد أثرت بعض المسلسلات التلفزيونية المصرية فى العالم العربى مثل الشهد والدموع ورأفت الهجان وغيرها من المسلسلات التى تجذب المشاهدين.

وإذا كانت التمثيلية الإذاعية تعتمد على الكلمات والمؤثرات الصوتية والموسيقى، ولا تلتزم بمكان محدد أو زمان محدد، إذا أنها تنقل مستمعيها من زمان إلى آخر ومن مكان إلى آخر، فإن التمثيلية التلفزيونية لها حرفيتها الخاصة بها فى الكتابة، والتى تختلف عن كتابة المسرحية، ولكنها تقترب بطبيعتها من السيناريو السينمائى، ومع هذا فإن النص المسرحى هو الجد الأكبر للتمثيلية وللمسلسل الإذاعى والتلفزيونى والفيلم السينمائى [١].

(١) إبراهيم حمادة. *معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية* (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٥) ص ٨٣.

نخلص مما سبق إلى أن الدراما تقدم فى وسائل الاتصال المختلفة، وعلى الرغم من أن القواعد الدرامية ثابتة وتتبع فى معظم هذه الوسائل، إلا أن شكل كل وسيلة وطبيعتها الفنية تؤثر على إخراج هذه الدراما فى هذه الوسيلة أو تلك، فمثلًا أربع شخصيات فى تمثيلية أو مسلسل تلفزيونى يعد مشهدًا مزدحمًا، أما فى السينما ذات الشاشة العريضة فلا يعد المشهد مزدحمًا [١]، كما أن اللقطات البعيدة يتم استخدامها فى السينما وبشكل كبير أما فى المسلسلات فى التلفزيون فاللقطات القريبة والمتوسطة تعد من أكثر اللقطات استخدامًا.

وتجدر الإشارة إلى أنه فى عالم وسائل الاتصال لا تلغى الوسائل الحديثة الوسائل القديمة، بل أن الوسائل القديمة تتكيف وتطور نفسها، ولذا لم يختفى المسرح ولا الراديو، بل إن الدراما تعد الشكل الغالب فى هذه الوسائل والأكثر جاذبية للجمهور.

فالدراما فى الراديو ذات تاريخ متميز ويستطيع المستمع أن يتخيلها ويبنيها فى ذهنه عن طريق إثارة حاسة الخيال، وعلى الرغم من استخدام الراديو للصوت فقط سواء الصوت البشرى أو صوت الموسيقى والمؤثرات الصوتية إلا أن هذا الصوت له قوة كبيرة ويصل بالمستمع إلى أجواز الفضاء أو أعماق البحار والمحيطات وقمم الجبال، كما يمكن للدراما فى الراديو أن تعطى تفسيرًا للحياة، وأحيانًا تعد مرآة لحياتنا والأحداث الموجودة بها ولدوافعنا وأخطائنا [٢]. ولهذا لن تندثر الدراما فى الراديو أو تموت على الرغم من وجهة نظر البعض والذين يرون أن الدراما فى الراديو لم تعد متميزة أو تقدم على يد كتاب جادين ومتميزين، بعد أن انتقل كتاب الراديو إلى التلفزيون أو السينما[٣]، وإذا كنا نرى أن الدراما فى الراديو مهددة، إلا أننا

---

(1) Gerald Kelsey , ***Writing for Television*** (London: A&C Black , 1996) p.67.

(2)Robert Mcleish , ***Radio Producation*** , 3rd ed., (Oxford: Longman ,1994) pp..221 - 222.

(٣) يمكن الرجوع إلى الموقع الآتى والذى تم الدخول إليه يوم ١٣ / ٩ / ٢٠١٠

**http://www.irdp.co.Uk/scripts.htm.**

نرى أن هناك أجيالًا ستحمل على عاتقها إعادة هذا الفن إلى مكانه اللائق حتى نجذب الجمهور ثانية إلى الدراما فى الراديو.

كما أن الكثيرين يرون أن الدراما التلفزيونية لن تختفى ولن تتضاءل أو تقل جودتها، بل ستكون أكثر مجدًا مثل الشمس، فالدراما التلفزيونية مرآة الحياة، وتعد انعكاسًا للاهتمامات الخاصة بالبشر، كما أنها قادرة على ربط خبرات الأفراد بالبناء الاخلاقى والقيمى، وستكون قادرة على توسيع تعاطف المشاهدين وجذبهم بعيدًا عن قيود الواقع لتقودهم إلى رؤية متعمة أعظم فى العلاقات الاجتماعية بين الأفراد، من خلال الضحك والتشويق والتعاطف والإثارة[1].

ولكننا نخشى على الدراما من الانزلاق فى متاهات الطبيعة التجارية والانسياق خلف رغبات الناس وغرائزهم بدلًا من التركيز على القيم الأصيلة والسمو بالنفس البشرية وإيجاد تفسير ومعنى للحياة التى نعيشها.

**عودة إلى البناء الدرامى: ثلاثة فصول أم أربعة؟**

إذا كانت قواعد البناء الدرامى فى الأشكال الدرامية المقدمة فى وسائل الاتصال المختلفة من مسرح وسينما وراديو وتليفزيون واحدة، فهذا يعنى أن كل الأعمال الدرامية متشابهة، وهذا حقيقى أيضا وصحيح فى حالة بناء السيناريو، ويرى البعض أن البناء الدرامى فيما يتعلق بحكاية القصة يمكن أن يقع فى أربعة فصول[2].

١- فى الفصل الأول تقدم لنا الشخصيات وتقدم لنا بذور الصراع ونبدأ فى معرفة الجو العام.

٢- فى الفصل الثانى يقدم الأشخاص أو الأبطال وهم يقومون بأفعال معينة أو

(1) Sue Thornham , Tony Purvis , ***Television Drama: Theories and identities*** (New York: Palgrave Macmillan , 2005) p.21.

(2)Lee Goldberg ,***Successful Television Writing*** (New Jersey:John Wiley &Sons , Inc. ,2003)pp.19- 21.

أحداث خاصة يتم توظيفهم فيها من أجل إظهار الفكرة الرئيسية للعمل الدرامى، فمثلًا يحاول أحد الأشخاص أن يكتشف حل الجريمة أو أن يجد الذهب المفقود، ولكن توجد عقبات كثيرة جديدة تقف فى طريقه، وفى نهاية الفصل الثانى تتحول القصة فى اتجاه غير متوقع.

٣- فى الفصل الثالث يتصرف البطل سلوكيات جديدة ليواكب التغير فى الموقف والعقبات الجديدة التى يواجهها، وعندما يقوم البطل بهذه الأفعال يعتقد أن الموقف الذى يواجهه تحت السيطرة، ولكن بنهاية هذا الفصل يجد أنه مخطىء، وأن الموقف يزداد سوءًا من جديد وأن هناك عقبة جديدة وضعت أمامه تحول بينه وبين تحقيق هدفه، وهذه العقبة تقدم بشكل مثير ونشعر أن الأبطال جميعًا سيموتون وستكون نهايتهم وأنه لا يوجد أمل

٤- فى الفصل الرابع يتم حل المشكلة ويتغلب البطل على كل العقبات ويحل كل الصراعات ويحقق أهدافه، فيتم القبض على القاتل ويسترد الذهب أو الماس المفقود وينقذ العالم، ويشعر بالسلام والأمن وعودة النظام.

وهناك من يرى أن البناء الدرامى من الأفضل أن يكون على هيئة ثلاثة فصول[1]، وتحدد هذه الفصول ماذا يحدث ومتى يحدث، ويمكن أن تتحدد هذه الفصول بالدوافع الخارجية للشخصية. ويرى أنصار هذا الرأى أن البناء المكون من ثلاثة فصول هو أساس كل ما نراه من دراما أو نسمعه ويمكن أن يطلق على هذا البناء الدرامى المكون من ثلاثة فصول البداية والوسط والنهاية، وهذه ليست صيغة ضرورية للنجاح أو قواعد يجب اتباعها، إلا أنها تعد خطوطًا إرشادية حيث يتم وضع بعض الأهداف للشخصية، ثم تواجه هذه الشخصية بعض العقبات لتحقيق هذا الهدف، وأخيرًا تصل الشخصية إلى هدفها أو تفشل فى تحقيقه، كما يذكر أنصار هذا الرأى أن الفصل الأول (مدته خمس دقائق فى الدراما التى مدتها ٣٠

(1) Robin Kelly (2005) ***Op.cit.***,

دقيقة وعشر دقائق فى الدراما التى مدتها ساعة و١٥ دقيقة فى الدراما التى مدتها ٩٠ دقيقة) ويتم فى **الفصل الأول** تقديم الشخصية الرئيسية.

- ويتم دفع القصة إلى حدث أساسى وتُخلق المشكلة التى تواجهها هذه الشخصية.
- ويتم تقديم الشخصيات الأخرى.
- يتم البدء فى تقديم الحبكة الفرعية.
- وتظهر محاولات الشخصية الرئيسية لحل مشكلتها والوصول لهدفها.

**أما الفصل الثانى** (مدته ٢٠ دقيقة فى الدراما التى مدتها ٣٠ دقيقة و٤٠ دقيقة فى الدراما التى مدتها ساعة و٦٠ دقيقة فى الدراما التى مدتها ٩٠ دقيقة) فى هذا الفصل يتم:

- تعقيد مهمة الشخصية الرئيسية.
- يتم التعقيد ويزداد التوتر.
- يتم دفع الحكبات الفرعية إلى الأمام.
- يزداد التوتر والصراع أكثر.
- تكون الشخصية الرئيسية فى أقل حالة من حالات الأمل فى تحقيق هدفها.

**أما الفصل الثالث** (مدته خمس دقائق فى الدراما التى مدتها ٣٠ دقيقة وعشر دقائق فى الدراما التى مدتها ساعة، ١٥ دقيقة فى الدراما التى مدتها ٩٠ دقيقة) وفى هذا الفصل:

- تنمو لدى الشخصية الرئيسية العزيمة القوية الجديدة لتحقيق هدفها.
- يتم التعامل مع الحبكات الفرعية subplots وحلها.
- يتم ربط النهايات المفككة وتعرض الحلول.
- تحل المشكلة وتحقق الشخصية الرئيسية هدفها.

إن السيناريوهات العظيمة والتى يحدوها الأمل فى أن تصبح أفلامًا عظيمة، ذات

بداية ووسط ونهاية متميزة، ويمكن ربط هذا بالبناء الدرامى القائم على ثلاثة فصول Three act structure كما فى الشكل الآتى [١]:

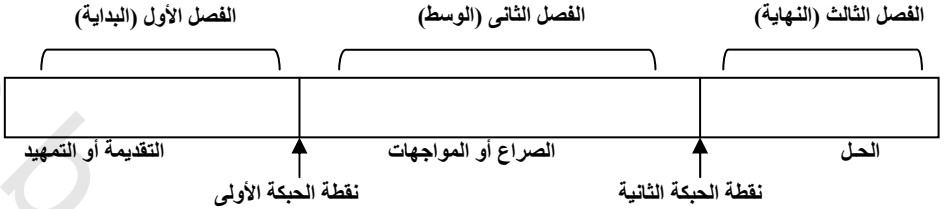


فالسيناريو إذا يقوم على قصة لها بداية ووسط ونهاية، وتصبح مهمة الكاتب الدرامى ان يضع لهذه القصة هيكلًا أو شكلًا، يتيح له أن يسرد من خلاله المواقف والأفكار والحوادث وأن يضع ذلك على الورق بالصورة وبالكيفية نفسها التى سيعرض بها العمل سواء المسرح أو فى الراديو أو فى التلفزيون أو فى السينما، ولابد أن يخضع بناء القصة لاعتبارات ثلاثة أساسية [٢]:

١- التوازن بين أجزائها.
٢- التوقيت ويقصد به استخدام العناصر المختلفة للقصة فى موضعها المناسب وفى اللحظات المناسبة تمامًا.
٣- الإيجاز والتكثيف بحيث يأتى سرد القصة واضحًا، بحيث يقود المتلقى إلى الهدف تدريجيًا، حتى لا يشرد عن الهدف والفكرة الأساسية.

**البناء الدرامى عند فريتاج: الفصول الخمسة**

يقدم لنا جوستاف فريتاج Gustav Freytag تحليله للبناء الدرامى، ولقد عُرف فرتياج بتحليله لبناء الدراما الإغريقية القديمة والدراما التى قدمها شيكسبير،

(١) يمكن الرجوع إلى الموقع الآتى والذى تم الدخول إليه يوم ١٥ / ٩ / ٢٠١٠
http://www.empirecontact.com/screen writing/fundamental/story.html.

(٢) يمكن الرجوع إلى الموقع الآتى والذى تم الدخول إليه يوم ١٩ / ٤ / ٢٠١٠.
http://www.moqatel.com/mokatel/Data/Behoth/Fenon_elam/4/senario/Mokatel11-1-2.htm

وطبقًا لتحليل فرتياج، فإن الدراما تقسم إلى خمسة أجزاء أو خمسة فصول، ولقد قدم تحليله بوسيلة مصورة يطلق عليها هرم فريتاج [١].

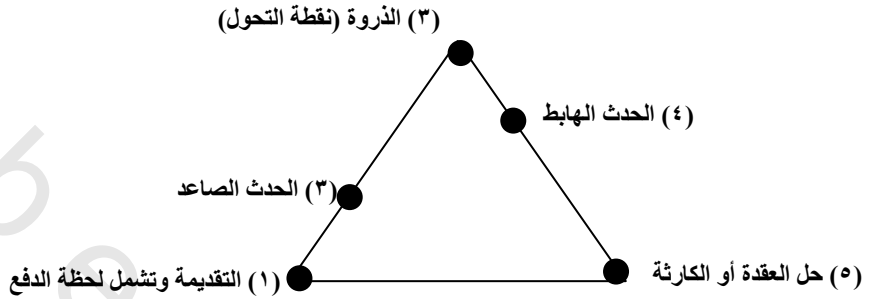


ويرى فريتاج أن الحدث الهابط يعتمد على ما إذا كانت الدراما كوميديا أو تراجيديا، وما إذا كانت ستكون هناك كارثة فى النهاية أو ما يمكن تسميته حلًا للعقدة، ويمكننا أن نحلل هذه الفصول كما يلى:

١- **التقديمة Exposition**.وتشتمل على لحظة الدفع inciting moment فى التقديمة تعرض بعض المعلومات كخلفية يحتاجها المتلقون لفهم جو القصة، وهذه المعلومات تشتمل على الشخصية الرئيسية Protagonist الشخصية التى ستقف ضدها أو تعارضها antagoinst حتى يمكن عرض الصراع الرئيسى والمنظر Setting، وغالبًا ما تنتهى التقديمة أو التمهيد بلحظة الدفع، حيث يقع حدث بدونه لا توجد القصة.

٢- **الحدث الصاعد Rising action**. أثناء الحدث الصاعد يتعقد الصراع الأساسى بتقديم بعض الصراعات الثانوية، ويتضمن بعض العقبات التى تحبط محاولات البطل فى الوصول إلى هدفه أو هدفها، والصراعات الثانوية يمكن أن تتضمن بعض الخصوم أو الأعداء adversaries والذين يعدون أقل أهمية من البطل، وربما يعملون مع الشخصية المناوئة للبطل الرئيسى.

---

(١) يمكن الرجوع إلى الموقع الآتى والذى تم الدخول إليه يوم ١٩ / ٩/ ٢٠١١.
**http://www.brainyencyclopedia.com/topics/dramtic.html.**

٣- **الذروة Climax (نقطة التحول)**. فى هذا الفصل الثالث والذى يعد بداية التغيير إما للأحسن أو للأسوأ بالنسبة لحياة البطل، فإذا كانت القصة كوميدية، فتصير الأمور أسوء بالنسبة للبطل حتى هذه النقطة، ولكن سيتم التحول هنا وتصير فى صالح البطل، أما إذا كانت القصة تراجيديًا فسيحدث العكس بالنسبة للبطل.

٤- **الحدث الهابط Falling action**. أثناء الحدث الهابط يحل الصراع بين البطل الرئيسى ومن يقف ضده سواء بفوز البطل الرئيسى أو خسارته، وربما يحتوى الحدث الهابط على لحظة التشويق النهائى moment of final suspense حيث الناتج النهائى للصراع يتم توضيحه بعد أن كان الجمهور المتلقى فى حالة شك.

٥- **الحل أو الكارثة Denouement or Catastrophe**. تنتهى الكوميديا بحل للعقدة وفيها يكون البطل هو الأفضل، أما التراجيديا فتنتهى بكارثة أو فاجعة حيث يكون البطل فيها أسوأ مما كان فى البداية.

وعلى الرغم من أن هرم فريتاج فى تحليله للبناء الدرامى قائم على خمسة فصول، إلا أنه يمكن أن ينطبق إذا تم تعديله على القصص القصيرة والروايات.

**أشكال الدراما**

إن الحدود بين أشكال الدراما المختلفة أو أنواعها ليست فاصلة، فمن الصعب أن نجد تراجيديا خالية تمامًا من روح الكوميديا أو كوميديا ليست بها لمسة تراجيدية، فقد كان هناك دائمًا مزيج بين هذه الأنواع الدرامية بشكل أو بآخر، ولقد برع شكسبير فى استغلال طاقات الكوميديا والتراجيديا من أجل إحداث تأثيرات محددة فى جمهوره. وبشكل عام يمكن القول بأن **التراجيديا أو الدراما الجادة** تهدف بصفة عامة إلى إثارة الانفعال العاطفى داخل المشاهد، بحيث يتوحد مع ما يتعرض له، والتراجيديا الناضجة تقدر على إثارة الانفعال والعقل أيضًا بحيث تبقى التجربة الانفعالية والعاطفية قوية وعميقة ومؤثرة، **أما الميلودراما** فتطلق على الدراما

الزاخرة بلحظات الإثارة الانفعالية المصطنعة أو المبالغ فيها بحيث يتضاعف استخدام المؤثرات الصوتية أو الموسيقية أو الصوتية، والإثارة الهدف الرئيسى للميلودراما، ولهذا يتم اللجوء إلى عناصر التشويق وأحداث العنف التى تكون دموية، ولا يهم الميلودراما التتابع المنطقى المتماسك لأنها غير موجهة إلى عقل المتلقى، وبالنسبة **للكوميديا** فتتجه إلى عقل المشاهد لكى يعيد صياغة تفكيره ومنظوره تجاه قضية ما، وقد تكون نظرة الكاتب متضمنة السخرية أو التهكم أو المرح، وترمى الشخصيات بالغرور أو الزيف أو التناقص، والمتلقى يضحك من هذه السلبيات ويفكر فى كيفية التخلص منها، أما الفارس فينظر إليها على أنها نوع من الكوميديا الهابطة حيث لا تهتم إلا بالمظاهر المادية للشخصية كشكل الجسم والحركات ومظاهر وأصوات مبالغ فيها لزوم إثارة الضحك، ولا تهتم كثيراً بإثارة تفكير المتلقى وتأملاته، ويتم التركيز على النكات اللفظية واللعب بالتلميحات الجنسية [1].

أما عدلى رضا [2] فيرى **أن التراجيديا** محاكاة لفعل نبيل تام له حيز مناسب بلغة فيها متعة وبطريق الفعل لا السرد وتهدف إلى إثارة الشفقة والفزع لكى تصل بالمتلقى إلى درجة النقاوة والصحة، **أما الكوميديا** فمحاكاة لأفعال أناس سيئين لا من ناحية كونهم متصفين برذيلة أو بأخرى بل من ناحية كونهم مضحكين والكوميديا تتطلب مهارة فى الحبكة وفى تصوير الشخصيات كما أنها تتضمن أحداثًا وشخصيات مضحكة، **أما الميلودراما** فتتميز أوضح معالمها فى مراعاة العدالة الأخلاقية ومكافأة الفضيلة ومعاقبة الرذيلة، وأحداث الميلودراما غير مبررة وتتطور من خلال الشخصيات الشريرة، أما الفارس فنوع متطرف من الكوميديا

---

(١) نبيل راغب. ***فن العرض المسرحى*** (القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ١٩٩٦) ص ص ١٤ – ١٧.

(٢) عدلى رضا. ***البناء الدرامى فى الراديو والتلفزيون*** (القاهرة: دار الفكر العربى،٢٠٠٢) ص ص ٤٣ – ٥٦.

يثار فيه الضحك نتيجة تصوير الأخطاء والانحدار إلى مرتبة الهزل والمجون واستعراض غباء الإنسان.

ويرى رشاد رشدى [1] أن الكوميديا تعالج عيبًا أو قبحًا لا يسبب ألمًا ولا ضررًا وتهدف إلى تسلية الجمهور بروح الفكاهة وتطهر الجمهور عن طريق الضحك فى حين أن التراجيديا تحقق التطهير عن طريق الفزع والشفقة، ويمكن تقسيم الكوميديا إلى كوميديا الاخطاء (سوء فهم لحادث أو شخص) والفارس الذى يهدف إلى الإضحاك عن طريق مؤثرات مغالى فيها وبدون أى تعمق نفسى، والكوميديا الاجتماعية (التى تصور نقائص اجتماعية موجودة مثل النمام والوصولى والمغرور)، والكوميديا العاطفية والتى تخاطب عواطفنا إلى جانب الإضحاك، وكوميديا الشخصيات (التى تهتم بالشخصيات نفسها بشكل أعمق من مجرد تصوير نواحى النقص أو لوازمها الاجتماعية).

(١) رشاد رشدى. *فن كتابة المسرحية* (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٨) ص ص ٨٧ – ٩٢.



obeikandl.com